

تركيا وإسرائيل : شراكة أبدية

استعادت العلاقات التركية الاسرائيلية "شراكة" يبدو ان تغير هوية النظام في أنقرة، من علماني - عسكري الى اسلامي، لا يؤثر على صفتها "الأبدية" و "الاستراتيجية" والتي بدأت حالما تأسست اسرائيل.

اعتذرت اسرائيل من تركيا على الاعتداء على سفينة مرمرة ضمن اسطول الحرية وقتل تسعة اترك في ٣١ ايار/مايو ٢٠١٠. من وجهة نظر انقرة فإن اسرائيل لبّت شروط تركيا ويمكن لحزب العدالة والتنمية ان يعتبر ذلك "تركيعا" لإسرائيل كما جاء في المانشيت الرئيسي لصحيفة يني شفق الموالية لحزب العدالة والتنمية. ولكن ما هي حقيقة الصورة؟ وما هو الثمن؟ وما صلته بالوضع الإقليمي؟ وما المكاسب التي سيجندها الشعب الفلسطيني؟

١ - إن العلاقات بين تركيا واسرائيل لم تتأثر كثيراً بعد حادثة اسطول الحرية. استمرت العلاقات الدبلوماسية. فقط تم سحب السفير. تم تجميد بعض الاتفاقات لكن التعاون الأمني والعسكري لم يتوقف. أما العلاقات الاقتصادية فقد عرفت طفرة بعد حادثة الاعتداء اذ كان حجم التجارة بين البلدين مليارين ونصف المليار دولار عام ٢٠٠٩، اي قبل حادثة مرمرة، وارتفع حتى وصل في العام ٢٠١١ الى اربعة مليارات ونصف المليار دولار قبل أن يتراجع الى اربعة مليارات في العام ٢٠١٢.

٢ - ان العلاقات بين تركيا واسرائيل لم تتأثر مطلقاً بوصول حزب اسلامي الى السلطة في أنقرة. اذ ان تركيا عملت على المصالحة بين اسرائيل والفلسطينيين. بل ان البرلمان التركي شهد القاء أول رئيس اسرائيلي كلمة أمامه في خريف العام ٢٠٠٧ بعد شهرين فقط على اعتلاء عبدالله غول سدة الرئاسة وفي ظل رئاسة رجب طيب اردوغان للحكومة. ونعيد التذكير هنا انه كلما كان في سدة السلطة في تركيا حزب له طابع اسلامي مثل

الحزب الديموقراطي بزعامة عدنان مندريس في الخمسينيات وحزب الوطن الأم بزعامة طورغوت اوزال في الثمانينيات كانت السياسة الخارجية التركية أكثر التصاقا بالغرب واسرائيل. ولم يشذ حزب العدالة والتنمية عن هذه القاعدة.

٣ - ان اسطول الحرية، الذي كان السبب في توتير العلاقة بين انقرة وتل ابيب، كان قد انطلق في ظل معارضة حكومة حزب العدالة والتنمية له، وقد منع اردوغان أيا من نواب الحزب من المشاركة فيه. ولكن عندما قتلت اسرائيل تسعة ناشطين أتراك وجدت الحكومة التركية نفسها محرجة جداً، امام ردة فعل الرأي العام الغاضبة، فلم يكن امامها سوى ان تطالب اسرائيل بالاعتذار. وأي موقف خلاف ذلك كان سيقوّض صورة اردوغان داخليا وخارجيا. لكن في الوقت نفسه كانت الدبلوماسية التركية بقيادة احمد داود اوغلو تعمل على ترميم العلاقات بشكل او بأخر بل كانت تغري اسرائيل، للخروج من هذا المأزق لتتقدم بالاعتذار. وإلا كيف نفسّر مثلا ارسال تركيا طائرات لإخماد حرائق في نهاية ٢٠١٠ في شمال اسرائيل في بادرة حسن نية؟ كما عقد داود اوغلو أكثر من اجتماع علني وسري مع المسؤولين الاسرائيليين وكانت نتائجه تصطدم دائماً برفض اسرائيل الاعتذار.

لم تكن عقدة عودة العلاقات في أنقرة بل في اسرائيل التي كانت ترفض الاعتذار، وبدعم اميركي، أيضا للحصول على الأثمان المناسبة من تركيا. وهذا ما حصل اذ ان أنقرة رفعت الفيتو مؤخراً عن تعاون اسرائيل مع حلف شمال الأطلسي. كما استأنفت اسرائيل تزويد طائرات عسكرية تركية بأنظمة إلكترونية. لكن المبادرة الأكبر، في هذا الاطار، كانت في موافقة تركيا على نصب الدرع الصاروخي على اراضيها في خطوة اطلسية العنوان لكنها كانت احدى أهم الخطوات لحماية الأمن القومي الاسرائيلي من سقوط الصواريخ الايرانية على اسرائيل.

٤ - لقد ادركت تركيا ان الخلاف مع اسرائيل في شأن حادثة مرمرة وانقطاع التواصل السياسي قد أثر في فعالية الدور التركي في القضية الفلسطينية. لذا كانت "صرخة" بولنت ارينتش نائب رئيس الحكومة التركية أثناء العدوان الاسرائيلي في تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٢ على غزة بضرورة اعادة العلاقات بين تركيا واسرائيل لتتمكن تركيا من استعادة تأثيرها في المنطقة. وليس من ضرورة لتذكير الأتراك ان اي دور لتركيا عبر اسرائيل لن يجعل من تركيا سوى الوجه الآخر للسياسات الاسرائيلية في المنطقة. وإذا

كان لا بد من ان تعود تركيا الى موقعها المشرقي فقط عبر بوابة المصالحة مع شعوب المنطقة ومناهضة سياسات الهيمنة الغربية والاحتلال الاسرائيلية.

٥ - لقد وضعت تركيا الاعتذار شرطا لتطبيع العلاقات. وهذا كان يعني ان اعتذارا اسرائيليا كان سيكون كافيا لكي تعود تركيا شريكا لإسرائيل في المنطقة. وفي منطلق الأشياء ان تركيا ليس لديها أي مشكلة مع اسرائيل. اعتذار واحد كان كافيا لتقطف اسرائيل ثمنا كبيرا يعزز وجودها وتأثيرها في المنطقة. وقد عبّر السفير التركي في واشنطن نامق طان بأوضح صورة عن طبيعة العلاقات الجيدة بين انقرة واسرائيل بقوله أن "الأصدقاء الحقيقيين فقط هم الذين يعتذرون لبعضهم البعض" مؤكدا على "متانة الصداقة التاريخية بين الشعبين التركي والاسرائيلي". (هل فعلا، هناك صداقة تاريخية بين الشعبين التركي والاسرائيلي ام إنها صداقة بين أنظمة حاكمة في تركيا، لا تعكس أبدا ميول الشعب التركي، وبين الكيان الاسرائيلي؟).

٦ - ان كل مظاهر الانتقاد لإسرائيل من جانب انقرة لا يمكن أن تحجب أن دولة عضواً في حلف شمال الأطلسي، مثل تركيا، يمكن أن تكون عدواً لإسرائيل. وبالتالي لم يكن ممكنا الاعتقاد لحظة ان تركيا يمكن ان تنهج نهجا مخالفا للمصالح الاسرائيلية التي هي نفسها المصالح الأطلسية. لقد اكدت تركيا تقديم هويتها الأطلسية على هويتها المشرقية والاسلامية عندما اعتبر المسؤولون الأتراك جميعهم ان "حدود تركيا هي حدود الأطلسي". ومن تكن حدوده حدود الأطلسي هو تلقائيا صديق وحليف لإسرائيل مهما بلغت درجات التمويه لحرف هذه الحقيقة.

٧ - إن التطبيع الكامل للعلاقات بين تركيا واسرائيل، بالتالي، لا يمكن ان ينفصل عن، بل يقع في صلب، ما يجري في المنطقة من تطورات وسيناريوات تحبك خيوطها وترسم خطوطها الولايات المتحدة الأميركية من أجل اعادة رسم خريطة المنطقة بما يتوافق مع مصالحها ويضعف المحور الذي تقوده ايران وروسيا. ومن تلك التطورات:

أ - تهيئة الظروف لتخفيف أعباء عن تركيا متمثلة في محاولة حل المشكلة الكردية في تركيا.

ب - وفي تعطيل العامل الكردي في سوريا من ان يكون ضاغطا على تركيا.

ج - ومن سعي تركيا لإضعاف وإسقاط حكومة نوري المالكي في العراق عبر خطوات مثل

اقامة علاقات مع اقليم كردستان العراق بتجاهل للحكومة المركزية في بغداد، ومن تحريك الاضطرابات في بعض المناطق السنية في العراق لتعميم الفوضى.

كل ذلك من أجل تضيق الخناق على المحور الاقليمي، الذي تقوده ايران والدولي الذي تقوده روسيا والصين، لصالح السياسات الغربية - الاسرائيلية، وتركيا جزء لا يتجزأ من السياسات الغربية. من بين هذه الأهداف الضغط على روسيا والسعي لتحجيم نفوذها ليس فقط في سوريا والشرق الأوسط عموماً بل في شرق المتوسط تحديداً حيث المياه الدافئة وعودة تواجد الأسطول الحربي الروسي بقوة والتنافس على الغاز الطبيعي والنفط المستكشف مع توقع تعاون تركي - اسرائيلي - قبرصي على هذه الأصعدة وبما يؤثر في المصالح الروسية. وفي هذا الاطار جاءت خطة اوروبا لإنقاذ قبرص بطريقة تستهدف الاستثمارات الروسية في قبرص.

وقد اعترف نتنياهو من على صفحته في التويتر انه من المهم وجود تواصل بين اسرائيل وبلد له حدود مع سوريا مثل تركيا وفي ظل التهديد السوري بالأسلحة الكيماوية لإسرائيل. إن الأزمة في سوريا كأحد أسباب عودة التطبيع بين تركيا وسوريا وتوقع شراكة تركية - اسرائيلية لإسقاط النظام في سوريا يدحض ما قاله داود اوغلو من ان التطبيع مع اسرائيل لا علاقة له بالوضع في سوريا.

٨ - هل يؤثر التطبيع التركي - مع اسرائيل على القضية الفلسطينية؟ إن ما هو موضع ترقب ولا سيما من جانب الشعب الفلسطيني هو كيف يمكن لتركيا، بتطبيعها العلاقات مع اسرائيل، أن توقف الاستيطان وأن تمنع تهويد القدس وأن تضغط لانسحاب اسرائيل من الضفة وترفع الحصار عن غزة وتطلق سراح الاسرى الفلسطينيين، حتى لا تشمل الجولان والقائمة تطول.

طبعاً لا يمكن تحميل تركيا مسؤولية كل هذه القضايا. لكن سيكون من المثير ان نرى كيف يمكن لتركيا، و"المحور الاسلامي" الذي تنتمي اليه، ان تساعد الشعب الفلسطيني في وقت تستعيد فيه مع اسرائيل التعاون على كل الأصعدة. ان اتصال اردوغان بالقيادات الفلسطينية مثل اسماعيل هنية وخالد مشعل ومحمود عباس كما بالرئيس المصري محمد مرسي، ورئيس الوزراء اللبناني، قبل ان يستقيل، نجيب ميقاتي، ووضعهم في أجواء الاعتذار الإسرائيلي قبل اعلانه وأخذ موافقة هذه القيادات على خطوة التطبيع، كما

اعترف داود اوغلو شخصياً، مسألة تختزن من التمويه المكشوف والمسيء، بحيث يظهر كما لو أن القيادات الفلسطينية موافقة على التطبيع بين تركيا واسرائيل وعودة التعاون بين دولة الاحتلال والدولة التركية. وفي هذا الإطار يبدو مستهجننا ان تعتبر حركة "حماس"، في بيان لها، اعتذار اسرائيل لتركيا على انه "انتصار كبير وانجاز كبير" ويؤكد مجددا ان العدو الاسرائيلي لا يفهم إلا لغة القوة والتمسك بالحقوق". فهل هو فعلا "انتصار كبير" للقضية الفلسطينية ان يكون ثمن الاعتذار عودة علاقات التعاون والتحالف بين تركيا واسرائيل الغاصبة؟ وهل من عاقل يمكن ان يصدق ان تركيا تؤيد "لغة القوة التي لا تفهم غيرها اسرائيل" في وقت تنتقد تركيا الخيار العسكري لحركات المقاومة بما في ذلك اطلاق الصواريخ من غزة رداً على أي عدوان؟.

رئيس التحرير